مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

رسائل عمر بن عبد العزيز الديوانية
(دراسة تحليلية موضوعية)

م.م. تحسين عيسى علي السلطان
ماجستير لغة عربية
ثانوية عبدالرحمن بن عوف الإسلامية
tr3qjb9x1@gmail.com

الملخص

من المعلوم أن الرسائل هي لون من ألوان النثر الفني في الأدب العربي, يعبر الكاتب من خلالها بما يجيش في صدره, وما يعتمل في وجدانه عن واقعه الذي يعيش فيه, وهي أيضاً كونها لون أدبي, تعكس الواقع المعاش في أي عصر من العصور بصورة صادقة معبرة عن مجمل الأحداث, وفي موضوعنا عن الرسائل التي كان يكتبها الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى من يهمه الأمر, بغية تحقيق ما يريد, فقد جاءت تلك الرسائل ومن خلال تعاملي معها, لتكشف أدق ملامح الواقع في عصره, وسبر أغواره, وما دعاه بقوة إلى أن تكتب لأهل عصره, ومن هنا كانت تلك الرسائل وثائق تاريخية وسياسية مهمة جسدت واقع ذلك العصر, وبالرغم من أهمية الرسائل بصورة عامة وما تمثله من أهمية تاريخية وأدبية جليلة, إلا أن تلك الرسائل لم تستأثر باهتمام نقاد ودارسي الأدب ولم تحظ بالعناية كما حظيت فنون الأدب الأخرى كالشعر مثلاً, وهذا ما كان باعثاً قوياً لي على البحث في هذا الموضوع وحسب امكانياتي الادبية وجعلت الخليفة عمر بن عبد العزيز نموذجاً لمنشئي تلك الرسائل, حيث نقلت نماذج من رسائله التي كان يكتبها إلى الولاة, كونه مسؤولاً عن إدارة الدولة, ويهتم بشؤون افرادها, ثم ذكرت خصائص رسائله الفنية والاسلوبية, وصيغ الرسائل التي كانت متبعة في عصره وما سبقه, وكان اعتمادي فيما نقلت المصادر التاريخية التي احتوت على كثير من تلك الرسائل.

Summary

The letters are a type of artistic prose in Arabic literature. In the letters, the writer expresses what is in his chest, and what arises in his conscience about the reality in which he lives. The messages reflect the lived reality in any era in an honest manner expressing the totality of events. And in our topic about the letters that Caliph Omar bin Abdul-Aziz was writing to those who are interested in order to achieve what he wants, these letters came to reveal the most accurate features of the reality of his time, and to explore its depths, and what strongly called him to write to the people of his time. Hence, those letters were important historical and political documents that embodied the reality of that era. Despite the importance of the letters in general and the great historical and literary significance they represent, these letters did not capture the attention of literary critics and scholars, and they did not receive the same care as other arts of literature,

such as poetry, for example. This was a strong motivator for me to research this subject according to my literary capabilities. And she made the Caliph Omar bin Abdul Aziz a model for the writer of letters, so I transmitted samples of his letters that he used to write to the governors, as he is responsible for managing the state, and takes care of the affairs of its members. Then I mentioned the characteristics of his artistic and stylistic messages, and the formulas of messages that were followed in his era and those that preceded it. It relied on what was quoted on the historical sources that contained many of those letters.

تمهيد

مفهوم الرسالة ومرادفاتها

الرسالة لفظة عربية لها استخدامات كثير ومدلولات ومرادفات:

1- **الرسالة**: مادة هذا اللفظ الفعل الثلاثي: رسل, يقال: أرسلت فلاناً في رسالة, فهو مرسل ورسول[1], وهذا الاستعمال اللغوي مأخوذ من الأصل الحسي في قولهم: ارسلوا إبلهم إلى الماء إرسالاً, أي: قطعاً[2], ثم تطور هذا الاستعمال اللغوي في الارسال إلى التوجيه, والاسم: الرسالة[3], وفي العصر الراشدي تطور مفهوم الرسالة حتى أصبح يعرف بالرسالة الشفوية وهي الأمر الذي يحمله الرسول إلى المرسل إليه بصيغة شفوية, وذكرت المصادر من ذلك رسالة عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب يبلغه فيها بفتح مصر (... فقال له معاوية ألا تكتب معي كتاباً, فقال عمرو: وما تصنع بالكتاب؟ ألست رجلاً عربياً تبلغ الرسالة؟ وما رأيت وما حضرت...)[4], فهذا يدل على الرسالة الشفوية, ثم تطور مدلول الرسالة ولم يقتصر على التبليغ الشفهي, وذلك في بداية العصر الأموي, فأتخذ هذا المصطلح للدلالة على النص المدون الذي بعثه المُرسل إلى المرسَل إليه[5], وهذا ما استقر عليه الحال في الدولة الأموية وما بعدها.

2- **الكتاب**: ومن مرادفات الرسالة: الكتاب, ويراد به النص المدون المجموع بعضه إلى بعض, ومنه قيل: كتبت الكتاب, لأنه يجمع حرفاً إلى حرف[6], وقد ورد هذا المصطلح كثيراً في القرآن الكريم[7], وفي العصر الإسلامي أصبح هذا المصطلح مرادفاً للرسالة, ويراد به كل ما يبعثه المُرسل إلى المرسَل إليه سواء أكان ذلك مدوناً أو شفوياً, ثم أصبح أكثر دلالة على المكاتبات, وما يبلغه المُرسل إلى المرسَل إليه, وقد بدت ملامح ذلك واضحة في العصور المتأخرة.

3- **الصحيفة:** وهذا مرادف آخر للرسالة, **الصحيفة**: الكتاب, وهي التي يكتب بها وجمعها صحف وصحائف, **والمصحف**: هو الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين[8], يتضح أن لفظ الصحيفة يدل على الخبر المكتوب الذي يحمل إلى المرسل إليه, ومنه قوله تعالى رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً [9], فقد قرن الله تعالى لفظة صحف بالفعل يتلو التي تدل على قراءة النص المكتوب وهو كتاب الله.

مما تقدم يدل لفظ الرسالة ومرادفاتها على النص المكتوب المنقول بواسطة المرسل إلى المرسل إليه.

المبحث الأول

الرسائل الديوانية في العصر الأموي

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

أطلق لفظ الديوان في الخلافة الراشدة على السجل الذي يثبت فيه اسماء الجنود المقاتلة حسب قبائهم ومقدار اعطياتهم وما يثبت فيه من أموال الفيء غيره[10], ثم تطور هذا الديوان وتوسعت أعماله حتى صار يطلق على المكان الذي يجلس فيه الكتبة لتحرير الرسائل للخليفة في مخاطبة الولاة وغيرهم, ثم استمر مدلول الديوان بالتطور حتى العصور المتأخرة[11].

وفي العصر الذي نؤرخ له وهو العصر الأموي فقد كثرت المكاتبات الرسمية الصادرة عن الديوان نظراً لحاجة الدولة الإسلامية, وما تقتضيه شؤون إدارتها المختلفة, فكان ذلك باعثاً مهماً لتشعب موضوعاتها وتلون اغراضها, ولعل أبرز الموضوعات التي طرقتها المكاتبات الرسمية الصادرة عن هذا الديوان ويمكن تصنيفها إلى:

1- رسائل ديوانية سياسية.
2- رسائل ديوانية حربية.
3- رسائل ديوانية ادارية.
4- رسائل ديوانية دينية.

بالرغم من أن عمر بن عبد العزيز لم تدم مدة خلافته إلا سنتان وخمسة أشهر[12], إلا أن أيامه لم تكن هادئة, بل شهد صراعاً سياسياً, شأنه شأن العصر الأموي برمته, فكانت لعمر رسائل مختلفة في مدة خلافته:

1- الرسائل الديوانية السياسية:

كانت الرسائل هذه الوسيلة الاعلامية المهمة في فصل الصراعات السياسية, فمن ذلك ما كتبه عمر عندما خرج شوذب اليشكري واسمه بسطام, فكتب إلى والي العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن: **(لا تُحرِكَهم إلا أن يَسفكوا دماً, أو يُفسدوا في الأرضِ, فإن فَعلوا َحُل بينَهُمْ وبينَ ذلكَ, وأنظر رجلاً صليباً حازماً فوجهُه إليهِم, ووجِهْ معَه جنداً وأوصِهِ بما أمرتُكَ بهِ)**[13].

وكتب أيضاً إلى شوذب **(إنَهُ بَلَغني إنَكَ خَرجتَ غضباً للهِ ولنبيهِ, ولَستَ بأولى بذلك مِني, فهلّمَ أناظِرُكَ, فإن كان الحقُ بأيدينا دَخلتَ فيما دخَل فيه الناسُ, وإن كان في يدكَ نَظرنا في أمرِنا)**[14], ويلخص عمر سياسته العامة نحو المجتمع في كتابه إلى أهل الموسم:

(أما بَعدُ: فإني أشهدُ اللهَ وأبرأ إليه في الشَهرِ الحرامِ والبلدِ الحرامِ, ويومَ الحج الاكبر إني بريءُ من ظلمِ مَن ظلمكُم, وعدوان من اعتدى عَليكم, أن أكونَ أمرتُ بذلكَ, أو رضيتَهُ, أو تَعمدتُهُ, إلا أن يكونَ وَهماً مني, أمراً خفيَ عليَّ لم أتعهدُهُ, وارجوا أن يكنَ ذلك موضوعاً عني مغفوراً لي, ألا وإنَه لا إنَ على مظلومٍ دوني وأنا مُعولُ كل مظلومٍ, ألا وأي عاملُ من عمالي, رَغبَ عن الحقِ ولم يَعمل بالكتابِ والسُنةِ فلا طاعة له عليكم, وقد صيّرت أمرُه اليكم حتى يُراجعَ الحقْ وهو ذميمْ, ألا وإنه لا دولةَ بين اغنيائِكم, ولا إثرةَ على فُقرائِكم في شيءٍ من قَيئكم,... والسلام)[15].

ومن كتب عمر السياسية ما كتبه إلى يزيد بن المهلب يأخذ له البيعة **(أما بعد: فانَ سليمانَ كان عبداً من عبادِ الله, أنعَمَ اللهُ عليهِ, ثم قَبَضهُ واستخلَفني ويَزيد بن عبد الملك بَعْدي إن كان قَد بايع من قِبلنا فَبايعْ من قبلك)**[16].

2- الرسائل الديوانية الحربية:

ومن الموضوعات المهمة التي عالجتها الرسائل الصادرة عن الديوان هي الرسائل الخاصة بشؤون الحرب, وكان عمر منذ ان ولي الخلافة عمد إلى إيقاف التوسع في المناطق النائية خوفاً على الجند, ومما

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

كتبه في ذلك كتابه إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بالاقفال من وراء النهر, فأبوا وقالوا: لا يسعنا مرو, فكتب عمر **(اللهمَ إني قد قَضيتُ الذي عليَّ فلا تَغْرُ بالمسلمينَ, فحسبُهُم الذي قَد فُتح الله علَيهم)**[17].

ومن كتبه في المجال الحربي ايضاً ما كتبه إلى عبد الرحمن بن نعيم **(لا تَهدِموا كنيسةً ولا بيعةً بيتَ نارٍ صُولحتُم عليه, ولا تَحدثَن كنيسةً ولا بنتَ نارٍ...)**[18].

3- الرسائل الديوانية الإدارية:

وهذه الامور كانت من مهمات الخلفاء في معالجتها وايجاد الحلول اللازمة لها, وكان عمر من بين الخلفاء الذين أولوا هذه المهمة رعاية خاصة فوردت عنه كثير من الرسائل في هذا الشأن, ولعل أهم الاغراض التي تناولتها الرسائل الديوانية ما كان يبعثه الخليفة إلى عماله في الولايات من عزل وتوليه وأوامر أخرى, فمن رسائل العزل التي كتبها عمر إلى الجراح بن عبد الله عامله على خراسان **(انه بلغني إنَكَ قد استعملت عبد الله بن الاهتم, وإن الله عز وجل لم يُبارك لعبد اللهِ ولا لأهلِ بيتهِ, في العمل, فإذا أتاك كتابي هذا فأعزِلْه... وبلغَني أنكَ استعملت عمارةَ الطويل, ولا حاجة لي بعمارةَ, ولا بضرب عمارةَ, ولا برجل غَمسَ يَدهُ في دِماء المسلمينْ, فإذا أتاكَ كتابي هذا فأعزِلْهُ)**[19].

وفي إدارة أموال الخراج كتب عمر إلى عقبة بن زرعة الطائي **(إن للسلطانِ أركاناً لا يَثبتُ إلا بها, فالوالي ركنُ, والقاضي ركنُ, وصاحبُ بيتِ المالِ ركنُ, والركنُ الرابع أنا, وليسَ من ثغور المسلمين ثغرُ أهمُ إليَّ ولا أعظمُ عندي من ثَغرْ خراسان, فاستوَعبْ الخراجَ واحرِزهُ في غير ظُلم, فإن يَكُ كفافاً لاعطياتِهم فسبيلُ ذلك, وإلا فاكتب إليَّ حتى أحملُ إليكَ الاموالَ فتوفر لَهم إعطياتِهِمْ...)**[20].

ومن رسائله التي يحث فيها عماله على العدل بين الرعية قوله إلى عماله **(أما بعد: فإن الناسَ قد أصابَهُمْ بلاءُ وشدةُ جورٍ في أحكام اللهِ, وسُنَن سيئةٍ سَنها علَيهم عُمال السوءْ, وان قوامَ الدينِ العدلُ والاحسانُ, فمن أرادَ الحجَ فعجلوا عليه عَطاءُهُ, حتى يتجهز فيهِ, ولا تُحدثوا حَدثاً في قطعٍ وصلبٍ حتى تؤامِروني)**[21].

ومن رسائله في الاصلاح الاجتماعي ما كتبه إلى عدي بن أرطاة عامله على البصرة ينهاه الاقتداء بسيرة الحجاج: **(بلغني أنك تَسْتَنُ بسننِ الحجاجْ, فلا تَسْتَنْ بسننه, فإنه كان يُصلي الصلاةَ لغير وقتها, ويأخذ الزكاةَ بغير حَقِها, وكان لما سِوى ذلك أضيعْ)**[22], وكتب إلى عبد الرحمن بن نعيم **(أما بعدُ: فكن عبدً ناصحاً للهِ في عبادهِ, ولا يأخذُكَ في الله لَومةَ لائمِ, فان الله أولى بكِ من الناس وحَقُهُ علَيكَ أعظمْ, فلا تُولين شيئاً من أمر المسلمينَ إلا المعروف بالنَصيحةِ لهُم والتوفير علَيهم, واداء الأمانَة فيما استرعى, وإياكَ وان يكون مَيلُكَ ميلاً إلى غيرِ الحقِ, فان اللهَ لا يَخفى عليه خافيةُ, ولا تَذهبَّن عن الله مذهباً, فإنه لا ملجأ من اللهِ إلا إليهِ...)**[23].

وكتب إلى عامله باليمن **(أما بعد: فدع ما أنكرتَ من الباطلِ, وخذ ما عَرفتَ من الحقِ بالغاً بك ما بلغ...)**[24].

4- الرسائل الديوانية الدينية:

اتسمت الرسائل التي كانت يخاطب بها عمر الولاة وغيرهم بطابع الوعظ وغلبة الروح الدينية والمعاني الزهدية, ولعل هذه المعاني العميقة من الملامح الجديدة التي طرأت على المكاتبات الرسمية في عصره, ومن ذلك ما كتبه إلى الجراح بن عبد الله الحكمي قوله **(يا ابن أمُ الجَراح, أنتَ أحرصُ على الفتنة مِنهم, لا تَضربّن مؤمناً ولا معاهداً سوطاً إلا في حقٍ, وإحذر القَصاصَ, فإنك صائرُ إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور- سورة غافر: الآية 19- تقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - سورة الكهف: الآية 49)** [25].

وكتب إلى عبد الرحمن بن نعيم **(إن العملَ والعلمَ قريبانِ, فكُن عالماً بالله عاملاً لَهُ, فإن أقواماً عَمِلوا ولم يَعْملوا, فكان عِلمُهُم عَلَيهم وبالاً)** [26], وكان عمر مع عدله وورعه وزهده عالماً عارفاً بالحجاج والجدل الديني مع المخالفين في العقيدة, ولعل أقوى رسالة تحلى بها روح الحوار الديني ما كتبه عمر إلى جماعة من القدرية, كذبوا بأقدار الله في سابق علمه, وسميت هذه الرسالة بالدامغة لما فيها من قوة الحجة والرد على الخصوم وإبطال مزاعمهم يقول **(أما بعد: فأنَكُم كتَبتُم إليَّ بما كُنتم تَستُرون من قبلِ اليومَ في رد علم الله والخروج منه إلى ما كان رسول الله ﷺ يَتخَوفُ على امته من التَكذيب بالقَدَر, إنكم ذَكركُمْ أنه بَلَغكُم أني أقولُ أن الله قد عَلم ما العبادِ فاعلونْ, وإلى ما هم صائِرونْ, فأنكَرتُم ذلك عليّ وقلتم إنه ليس يكون ذلك من الله حتى يكون ذلك من الخلق عملاً, فكيفَ ذلك كما قُلتم؟ والله تعالى يقول** (إنّا كاشِفُوا العَذابِ قَليلاً إنَّكُمْ عائِدُون) **يعني عائدين في الكفر, وقال تعالى** (وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لما نُهُوا عَنْهُ وَإنَّهُمْ لَكاذِبُون) **فَزعَمتم بجهلِكم في قولَ الله تعالى** (فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُر) **إن المشيئة في أي ذلك أحببتُم فعلتم من ضلاله أو هدى والله تعالى يقول** (وَما تَشاءُونَ إلاّأَنْ يَشاء اللهُ ربُّ العالمينَ) **فمشيئة الله لهم شاءوا ولم يشأ لم ينالوا بمشيئتهم من طاعته شيئاً قولاً ولا عملا, لأن الله تعالى لم يملك العبادَ ما بيدِهِ, ولم يُفوض إليهم ما يمنعُهُ من رُسلِهِ...)** [27].

المبحث الثاني

الخصائص الفنية لرسائل عمر بن عبد العزيز

لا شك أن أدب الرسائل في العصر الاموي قد تميز بكثير من الخصائص الفنية عما كان عليه في العصر الراشدي, حيث بدأت بوادر التطور والنضج الفني تطرأ على كثير من المكاتبات في هذا العصر, وهذا يمكن تعليله باختلاف اسلوب المنشئين وتفاوت طباعهم وتباين امزجتهم والظروف التي كتبوا فيها, وقد حكم هذا التطور عوامل عدة:

منها: تشعب مواضيع الرسائل وتنوع اغراضها, وهذا ما جعل الرسائل تتسم بملامح فنية كان لها الأثر في ذلك التطور.

ومنها: ظهور طبقة الكتاب الذين تولوا مهمة الكتابة للخلفاء, وهؤلاء عرفوا بالفصاحة والتمكن من ناحية البيان, وكان لهذا صداه الواسع في تطور فن الكتابة والترسل في هذا العصر [28].

ومنها ما له الأثر الواضح في ذلك التطور وهو تأثير اسلوب القرآن الكريم في طرائق الكتابة, وبدا ذلك واضحاً في رسائل الوعاظ والمتدينين والدعاة إلى العمل للآخرة ومنهم عمر بن عبد العزيز, فكان القرآن الكريم المعين الذي ينهل منه كتاب الرسائل, ويستمدون من اسلوبه ابتكار الصور في التشبيه والاستعارة وصور البيان الاخرى فضلاً عن التجسيم والتشخيص والتسلسل في عرض المقدمات واستخلاص النتائج [29], وهذا ما نلمسه في الرسائل التي وصلتنا عن هذا العصر, وعندما نأتي إلى رسائل عمر بن عبد العزيز نجده أحد الكتاب البارعين الذين تأثروا بالبيئة الادبية في عصره, ومن قراءة تلك الرسائل يتضح لنا ما يلي:

1- سهولة الألفاظ ودلالتها على المعنى:

فقد تميزت جميع رسائل عمر بسهولة ألفاظها, ووضوح معانيها, والقصد إلى الغرض دون اسهاب أو تعقيد أو استعمال اللفظ الغريب, ولعل مرد ذلك عائد إلى صفاء قريحته وفصاحتها, مع الذوق السليم, الذي يقع على الجمال وقوعاً طبيعياً بعيداً عن التكلف او التنميق, ومتميزاً بفخامة اللفظ وجزالته, ومثال ذلك ما كتبه إلى أهل الموسم **(لولا أن أشغِلَكُم عن مناسككم لرسَمتُ لكم أموراً من الحقِ أحياها الله لكم, وأموراً من الباطل أماتَها الله عنكم, وكان الله هو المُتوحد بذلك فلا تَحمدوا غَيرهُ, فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت**

كغيري والسلام عليكم)[30], فهذه الرسالة واسلوبها جاء مراعاة لظروف انشائها, ومناسبة المقام في الايجاز لعمل أهل الموسم وهو أداء مناسك الحج, وفيها جاء الاقتضاب مع التركيز على فحوى الرسالة دون مقدمات.

ومثله في بساطة الاسلوب ودقة المعنى ما كتبه إلى بعض أمراء الاجناد **(أُوصيكَ بتقَوى الله والتمسكْ بأمرِهِ, والمعاهدةَ على ما حَمَلك الله من دينِهِ, واستَحفظْكَ من كتابِه, فإن بتقوى الله نجا أولياؤُهُ من سَخطِهِ وبها تحققَ لَهم ولايَتُهُ, وبها وافقوا الانبياء... والسلام)**[31].

2- استعمال السجع:

ولعل من ملامح الفن في عصر عمر بن عبد العزيز شيوع السجع, وتعمد استعماله أحياناً في المخاطبات, وأرى أن استعمال السجع في رسائل عمر هو كحلية لما يحققه من تنغيم وايقاع فيما يدعو إليه, فمما ورد في هذا الفن رسالته إلى بعض مدن الشام بقوله: **(في كلِ يومٍ تُشيعونَ غادياً إلى الله ورائحاً قد قضى نَحبَهُ, وانقضى أجلُهُ, ثم يغيبّونه في صدعٍ من الأرض غير مُوسدٍ ولا ممهدٍ, قد فارق الاحبابَ وخلعَ الاسبابَ, وواجه الحسابَ, وسكن الترابَ, مرتهناً بعملِهِ, غنياً عما تركَ فقيراً إلى ما قَدّمَ)**[32].

فواضح في هذا الكتاب أن عمر اعتمد على السجع اعتماداً ظاهراً, واتكأ عليه تحقيقاً لتلك النبرات الموسيقية الجميلة, والانغام العذبة في مقام الموعظة والعبرة.

3- استعمال التحميد في الرسائل:

وهذا من الملامح الفنية التي شاعت في رسائل هذا العصر, ويراد بها إظهار الحمد والثناء على الله تعالى, ويعد هذا امتداد لما كانت عليه الرسائل في العصر الراشدي, ومن صور التحميدات ما كتبه عمر إلى عدي بن أرطاة **(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ... من عبد اللهِ عُمر أميرُ المؤمنينَ إلى عدي بن أرطاة ومن قبله من المسلمين والمؤمنينَ, سلامُ عليكم, فإني أحمدُ اللهَ الذي لا إله إلا هو, أما بعد: فانظر أهل الذِمَة فارفقْ بِهِم, وإذا كبرَ الرجلُ منهم وليس له مال فأنفق عليه, فإن كان له حميم فمر حَميمهُ ينفقَ عليه والسلام)**[33].

4- تسلسل الأفكار ودقتها:

حيث يعمد الكاتب إلى الدقة في تنظيم الأفكار, وتقسيم الموضوع إلى أفكار مترابطة يكمل بعضها بعضاً, ومثال ذلك رسالة عمر إلى أحد ولاته **(... وإن قوامَ الدين العدلُ والإحسانُ, فلا تكونَنَ في شيءٍ أهم إليك من نفسِك, فإنه لا قليلَ من الاثمِ, ولا تحمل خراباً على عامرٍ, ولا عامرُ على خرابْ, انظر الخرابَ فخذ منهُ ما أطاقْ واصلحه حتى يَعمرْ, ولا يُؤخذ من العامرِ إلا وظيفَه الخراجْ في رفقٍ وتسكيْن لأهل الأرض, ولا تأخذنّ في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها أهلْ, ... فاتبعْ أمريَ فإني وليتَك من ذلك ما ولاني اللهُ, ولا تعْجل دوني بقطعٍ ولا صلبٍ حتى تُراجعني فيه,...)**[34], وهكذا تبدأ الفكرة في هذه الرسالة ثم تتبعها الامور الخاصة بها حتى تترابط بين اجزائها, لأن الأصل في العمل العدل والإحسان وكل ما بعده في الرسالة يعتمد فكرة العدل فيما أمره.

5- صدق العاطفة ومسؤولية الراعي:

وغالب ما ورد من رسائل عمر نجد هذا الاتجاه يكاد يكون ديدنه, كيف لا وهو الخليفة الزاهد الورع الذي تحمل مسؤولية الأمة ورعايتها ومسؤول يوم العرض على الله, فكأنه يذكرهم بذلك اليوم ويدعوهم للتهيؤ له: يقول في رسالة له إلى بعض الاجناد **(أما بعد: أُوصيكُم بتقوى الله ولزومِ طاعتِهِ... فمن كان راغباً في الجنةِ أو هارباً من النار, فالآن في هذه الأيام الخالية, والتوبةُ مقبولةُ, والذَنبُ مغفورُ قبل الأجلْ وانقضاءِ المُدة وفراغ الله للثقلين ليدينهم بأعمالهم في موطن لا تُقبل فيه فدية, ولا تنفعُ فيه الحيلة, تبرز فيه**

الخفياتْ, وتبطل فيه الشفاعاتْ, يرده الناس جميعاً بأعمالِهم, ويتفرقون منه أشتاتاً إلى منازلِهِمْ, فطوبى يومئذٍ لمن أطاعَ اللهَ, وويلٌ يومئذٍ لمن عَصى الله تعالى)[35], ففي هذه الرسالة نبرة العاطفة الصادقة فيها جلية, والخوف من الآخرة بيّن, وذلك لما يحسه منشيء هذه الرسالة من صدق الاحساس في التعبير ما سيكون بين يدي الله تعالى, ومثله ما كتبه إلى بعض اخوانه **(يا أخي إنك قَطَعت عظيمَ السفرِ وبقي أقلُّهُ, فاذكر يا أخي المصادرَ والموارِدْ, فقد أوحي إلى نبيكَ ﷺ أنك من أهلِ الورود, ولم يُخبر أنك من أهل الصدورْ والخروجْ, وإياكَ أن تَغُرَّكَ الدُنيا فإن الدنيا دار من لا دارَ له, ومالٌ من لا مالَ له...)**[36].

6- الاقتباس من القرآن الكريم:

وهذا من الخصائص الاسلوبية التي امتازت بها رسائل عمر, حيث كان يوشح رسائله بتلك الحلل النفيسة, والجواهر البديعة, للدلالة على الفكرة التي يسوقها, فمن ذلك ما كتبه إلى عبد الرحمن بن نعيم **(أما بعد: فكَنْ عبداً ناصحاً للهِ في عبادِهِ, ولا يأخُذك في اللهِ لومة لائمْ, فإن اللهَ أولى بك من الناسِ وحَقُّهُ علَيك أعظمْ, فلا توليّن شيئاً من أمرِ المُسلمينَ إلا المعروفِ بالنصيحة لَهم والتوفير علَيهم, واداءِ الأمانةَ فيما استرعى, وإياك أن يكون مَيلُكَ ميلاً إلى غير الحق, فإن الله لا يخفى عليه خافيةٌ, ولا تذهبَ عن الله مذهباً, فإنهُ لا ملجأ من اللهِ إلا إليه)**[37], فقد ختم رسالة أخرى هذه الآية (118 من سورة التوبة), وقال في رسالة أخرى **(أما بعد: فاعمل عَمل رجلٍ يعلمُ ﴿** فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين **﴾ - سورة يونس الآية 81)** فهذه النصوص تدل على تبلور جمال الصياغة القرآنية وروعة اعجازه, وفي بعض الرسائل يعمد عمر ادراج بعض الآيات القرآنية في سياق الرسالة وموضوعها وصهرها في ثنايا الكتابة دون النص عليها أو ذكرها كاملة, بحيث تبدو وكأنها متماسكة لا يعرفها إلا الحاذق في هذا الفن, ومن مثال ذلك قوله **(... إنكُمْ لم تُخلقوا عبثاً ولن تُتركوا سُدى, وان لكم معاداً ينزل الله فيه للحكمِ فيكم والفَصْلُ بينكُمْ, وقد خابَ وخَسِرَ من خَرجَ من رحمة الله التي وسَعَتْ كل شيءٍ, وحرم الجنة التي عَرضُها السموات والأرض,...)**[38], ومثلها أيضاً ما كتبه إلى بعض عماله **(أما بعد: فكأن العبادَ قد عادوا إلى الله فيُنبئُهم بما عَملوا ليجزيَ الذينَ أساءوا بما عَملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحُسنى...)**[39], فهذا الاسلوب الذي اتبعه عمر ما يعزز رأيه, ويدلل على حجته, وينبه الغافلين عن أحكام الدين.

7- استعمال المحسنات البديعية:

عند قراءة رسائل عمر بن عبد العزيز نجد عدد غير قابل من رسائله زاخرة بضروب عديدة من المحسنات البديعية, ومما لا شك فيه أن أغلب ما ورد فيها من صور البديع, لم يكن مقصوداً لذاته, ولم يتكلف استعماله وإنما هو جاء من وحي الفطرة والذوق السليم, ومن ذلك قوله في أحد رسائله **(إن ما هاجَني على كِتابي هذا أمرُ ذُكر لي عن رجالٍ من أهل البادية, ورجالِ أمروّا حديثاً, ظاهرُ جفاؤهُم, قليل عِلمُهُم بأمرِ الله اغترّوا فيه بالله غرةً عظيمةً, ونسوا فيه بلاءه نسياناً عظيماً, وغيروا فيه نِعمةَ الله تغييراً لم يكُنْ يُصلح لهم أن يبلغوه...)**[40], يتضح في هذا النص المذكور في الرسالة, تجانس بعض ألفاظها كما في (أمروا- بأمر) (اغتروا- غرة) (نسوا- نسياناً) (غيروا- تغييراً) وفي هذا كما لا يخفى قدر وافر من الجمال وروعة الاداء.

ومن الصور الأخرى في رسائله المطابقة وهو الجمع بين المعنى وضده كما في احدى رسائله **(إن قَدَرَت أن تكونَ في العدلِ والإحسانِ والاصلاحِ تقدرَ من مكان قبلُكُم في الجَورِ والعُدوانِ والظُلم, فافعل ولا حَوله ولا قوة إلا بالله)**[41], فالمطابقة البديعة بين العدل والجور, والاحسان والعدوان والاصلاح والظلم, وكذلك

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات
العدد السادس عشر– كانون الاول 2022 – جمادي الاولى 1444 ISSN-2536-0027

في قوله **(إلا واعلموا إنما الامانُ غداً لمن حذَرَ الله وخافَهُ, وباعَ نافذاً بباقٍ, وقليلاً بكثيرٍ, وخوفاً بأمانٍ...)**[42].

8- شيوح الألفاظ الدينية والشرعية في الرسائل:

لقد تميزت أغلب رسائل عمر بن عبد العزيز بإيراد الألفاظ الدينية والشرعية التي تدل على تأثره باسلوب القرآن الكريم والسنة وتأثره في التعبير بتلك الألفاظ, واكساءها بثوب الجلال بما اضفاه عليها من تلك المعاني الشرعية.

من ذلك قوله **(إنَّ الله فَرضَ فرائِضَ وسَنَ سُنناً من أخذ بها لحَقَ ومن تركها مُحق)**[43].

وقال في أحد خطبه **(أما بعدُ: أيها الناس فلا يطَولّنَ عليكم الأَمدْ, ولا يُبعدنَ عليكُم يومَ القيامةِ, فإن من وافته منيَتهُ فقد قامت قيامَتهُ, ولا يُستعتبُ من شيء ولا يزيدُ في حسنْ, ألا لا سَلامةَ لأمرئٍ خِلافَ السُنة, ولا طاعة لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقْ, ألا وإنكُم تَعدونَ الهاربُ من ظُلمِ إمامِهِ عاصياً, إلا وان أولاهُما بالمعصيةِ الامامُ الظالمْ...)**[44].

فهذه الرسائل أمثالها كان عمر بن عبد العزيز يتوخى من خلالها التأثير على نفوس من يكتب لهم, وهي صادرة عن عواطف دينية صادقة, كما أنها تطفح بنبرة الورع والحزن والزهد, فبلغت تلك الرسائل ما كان يرمي إليه من التأثير في نفس المرسل إليه.

الخاتمة

اتضح لي من خلال هذا البحث ما يلي:

1- ان الرسائل كانت طيلة العصر الإسلامي تصور الاحداث التي مرت في تاريخه, من الناحية السياسية والاجتماعية والفكرية, كما ان تلك الأحداث كانت عاملاً مهماً في بعث الرسائل وشيوعها وتطورها.
2- أن الرسائل في العصر الأموي أصبحت أداة مهمة للتعبير عن أحوال ذلك العصر, وان تلك الاضطرابات الخطيرة كانت مادة خصبة الهمت الكتاب كثيراً من المعاني العميقة والأفكار الدقيقة والتراكيب المتينة المحكمة.
3- أن رسائل عمر بن عبد العزيز كانت مظهراً مهماً من مظاهر الحياة الدينية والعقلية المتطورة, وعكست كثيراً من العقائد والآراء الدينية, وما كان عليه المجتمع من تصرف وسلوك.
4- انصبت غالب رسائل عمر على وجوب العمل للآخرة والتمسك بالمثل العليا السامية, والتذكير بزوال الدنيا ونعيمها والاعتبار بمن مضى.
5- جاءت رسائله من الناحية الفنية والاسلوبية, متسمة بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني والقصد إلى الغرض دون اسهاب أو تعقيد, كل ذلك مستوحى من الفطرة والذوق السليم.
6- ومما ظهر جلياً في رسائله: الاقتباس من القرآن الكريم, وذلك حتى تزيد الفكرة تأكيداً وتقريراً.
7- كما ان معظم رسائله اتسمت بطابع الالتزام الديني, وشاع فيها رهافة الحس, وصدق اللهجة وحرارة العاطفة.

8- وأخيراً فإن تلك الرسائل مع الاهداف التي أنشأت من أجلها فقد أبانت عن الطبيعة الصافية والذوق السليم, مع ما امتازت به من جمال نسجها وحلاوة وقعها, وهذا كله جاء دون قصد أو انفعال, بل هي السليقة العربية التي امتلكت ناحية البلاغة والبيان.

والخلاصة أن تلك الرسائل هي وليدة الحاجة, ونبت البيئة وواقعها المعاش.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.
1- الأحكام السلطانية والولايات الدينية: على بن محمد بن حبيب الماوردي (ت 450ه), دار الكتب العلمية, بيروت, ط3, 2006م.
2- أساليب الكتابة في العصر الراشدي: عبد العال الشرقاوي, دار الأدب, القاهرة, 1974م.
3- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي (ت 1205ه), دار الهداية, بيروت, 2010م.
4- تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري (ت 310ه), تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم. دار احياء التراث العربي, بيروت, 2008م.
5- تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق اليعقوبي (ت 292ه), دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1999.
6- جمهرة خطب العرب: أحمد زكي صفوت, المكتبة العلمية, بيروت, 1972م.
7- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911ه), مطبعة عيسى الحلبي, مصر, 1967م.
8- حلية الأولياء: أحمد بن عبد الله الاصفهاني (ت 430ه), دار الكتب العلمية, بيروت, 1992م.
9- سيرة عمر بن عبد العزيز: عبد الله بن عبد الحكم (ت 214ه), دار العلم للملايين, بيروت, 1967م.
10-سيرة عمر بن عبد العزيز: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597ه), دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1984م.
11-صبح الأعشى في صناعة الأنشا: أحمد بن علي القلقشندي (ت 821ه), المؤسسة المصرية للتأليف, مصر, 1963م.
12-الطبقات الكبرى: محمد بن سعد (230ه), دار صادر, بيروت, 1968م.
13-القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817ه), الهيئة العامة المصرية للكتاب, القاهرة, 1980م
14-الكتابة الفنية في العصر الأموي: عبد المقصود أحمد الشرقاوي, دار المعارف, مصر, 1961م.
15-لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الافريقي (ت 711ه), دار الكتب العلمية, بيروت, 2005م.
16-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد سعيد اللحام, دار المعرفة, بيروت, 2012م.

([1]) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الافريقي (ت 711ه), دار الكتب العلمية, بيروت, 2005م: 376/6, تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي (ت 1205ه), دار الهداية, بيروت, 2010م: 237/21.

([2]) لسان العرب: 377/6.

([3]) القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ), الهيئة العامة المصرية للكتاب, القاهرة, 1980م: 517/2, تاج العروس: 238/21.

([4]) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ), مطبعة عيسى الحلبي, مصر, 1967م: 121/1.

([5]) أساليب الكتابة في العصر الراشدي: عبد العال الشرقاوي, دار الأدب, القاهرة, 1974م: 103.

([6]) لسان العرب: 223/1.

([7]) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد سعيد اللحام, دار المعرفة, بيروت, 2012م: 793– 797.

([8]) لسان العرب: 590/5, تاج العروس: 5/24.

([9]) سورة البينة: الآية 2.

([10]) الأحكام السلطانية والولايات الدينية: علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت 450هـ), دار الكتب العلمية, بيروت, ط3, 2006م: 254– 255.

([11]) صبح الأعشى في صناعة الأنشا: أحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ), المؤسسة المصرية للتأليف, مصر, 1963م: 89/1– 90.

([12]) تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري (ت 310م), تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم, دار احياء التراث العربي, بيروت, 2008م: 420/6.

([13]) تاريخ الأمم والملوك: 413/6.

([14]) المصر نفسه: 413/6.

([15]) حلية الأولياء: أحمد بن عبد الله الاصفهاني (ت 430هـ), دار الكتب العلمية, بيروت, 1992م: 292/5.

([16]) تاريخ الأمم والملوك: 421/6.

([17]) المصدر نفسه: 422/6.

([18]) المصدر نفسه: 424/6.

([19]) تاريخ الأمم والملوك: 422/6.

([20]) المصدر نفسه: 422/6.

([21]) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق اليعقوبي (ت 292هـ), دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1999م: 213/2.

([22]) جمهرة خطب العرب: أحمد زكي صفوت, المكتبة العلمية, بيروت, 1972م: 315/2.

([23]) تاريخ الأمم والملوك: 417/6.

([24]) تاريخ اليعقوبي: 214/2.

([25]) تاريخ الامم والملوك: 416/6.

([26]) المصدر نفسه: 421/6.

([27]) حلية الأولياء: 346/5.

([28]) الكتابة الفنية في العصر الأموي: عبد المقصود أحمد الشرقاوي, دار المعارف, مصر, 1961م: 93.

([29]) المصدر نفسه: 117– 118.

([30]) حلية الاولياء: 293/5.

([31]) سيرة عمر بن عبد العزيز: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597هـ), دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1984م: 124- 125.

([32]) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي: 259.

([33]) الطبقات الكبرى: محمد بن سعد (230هـ), دار صادر, بيروت, 1968م: 380/5.

([34]) تاريخ الأمم والملوك: 422/6.

([35]) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي: 116.

([36]) المصدر نفسه: 257.

([37]) تاريخ الأمم والملوك: 417/6.

([38]) تاريخ الأمم والملوك: 423/6.

([39]) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي: 255.

([40]) المصدر نفسه: 104.

([41]) الطبقات الكبرى: 285/5.

([42]) تاريخ الأمم والملوك: 423/6.

([43]) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي: 112.

([44]) سيرة عمر بن عبد العزيز: عبد الله بن عبد الحكم (ت 214هـ), دار العلم للملايين, بيروت, 1967م: 43.